إذا غادةٌ منعتْ وظأَها تبطَّنتُ منها ذاولَ الركابِ
وخرَّقَ ما تحتـه ظهـرُها كما تخرقُ الشمسُ ثوبَ السحابِ
وأحمـدُ من جسمها أنه كريمُ العظام لئـيمُ الإهابِ (١)

* * *

وقال فى الدفاتر

وصفحةِ وجه من وجوهٍ عَلِقتُها أراعِى خدوشـا فوقها ونُدوبا
تَعرَّضُ لى والغانياتُ صوادفٌ فأذكُرُ أصـداغا لهـا وتَرِيبا
أكونُ حليما تارةً ما اجتليتُهـا وقُورًا وأحيانا أكون طَروبا
ويُعجبـنى منهنّ أنّى لا أرى حبيبـا لقلبى أو أراه قـريبا
سَبَتنى بألفاظِ الرجال وطابَ لى جَناها ولم تنطقْ ولم أَرَ طيبا
فأودعتُها ما أودع اللهُ مهجتى جلابيبَ خيطت لاتُقِلُّ جيوبا
تُقصِّر عن أقدامِها ورءوسِهـا وتملأُ أصلابا لهـا وجُنـوبا
إذا عُرِّيتْ منها وَقَتْها عيوبَها وإن أُلبِسَـتها لم توارِ عيـوبا

## قافيـــة التـاء

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يمدحُه ويذكُر ظفرَه بعدوٍّ كان يناوئه ويهنّئه بمهرجان سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ما أنكرتْ إلا البياضَ فصـدّتِ وهى التى جَنَتِ المشيبَ هى التى
غَرّاءُ يَشْـعَفُ قلبَها فى نحـرِها وجَبينِهـا ما سـاءنى فى لِمَّتى
لولا الخـلافُ وأخذُهنّ بدينـه لم تكلَف البيضـاءُ بالمُسودَّةِ

(١) إشارة الى بياضها وسواد جرمها .

أأنستِ حين سَريتِ فى ظلمائها ... ونفرتِ أن طلعتْ عليـك أهلّتى ؟

ولقد علمتِ ـ وعهدُ "رامةَ" عهدُنا ... فَتَبيْن ـ أنّى لم أشبْ من كِبرة

وإذا عددتِ سنيَّ لم أك صاعدا ... عَددَ الأنابيب التى فى صَـعدتى (١)

أَجَنيتُها من خَـلّةٍ (٢) فى مَفـرِقى ... فتكونَ عنـدك قادحا فى خُلّتى (٣) ؟

نَكِروا ـ فلا عَرَفوا ـ "برامةَ" وقفةً ... مَيـلاءَ نادتها الديارُ فلبّتِ

وألام فيك وفيك شِبتُ على الصِّبا ... يا جورَ لائمتى عليـك ولِمّتى

وحنفتُ نحـوك حَنَّـةً عربيّـةً ... عِيبت، وتُعذرُ نافةٌ إن حنّتِ

ماذا على الغضبانِ ؟ ما آستردفتُه ... دمعا ولا آستوقفتُهُ من وقفـتى

أبغى الشـفاءَ بذكره مِن مُسقمى ... عجبا لمن هـو علّتى وتعلّتى !

يا هلْ لليلاتٍ "بجَمْعٍ" عودةٌ ؟ ... أم هل الى وادى "مِنًى" من نظرةٍ ؟

والحاصبات، وكلُّ موقع جمـرةٍ ... يَنبـذْنَها فى القلبِ موقِدُ جمـرةِ

ومِن المحـرَّم صـيدُهنّ خليعةً ... طابت لهـا تلك الدماءُ وحلّتِ

حكمتْ عليـك بقلبِ ليثٍ مُخدِرٍ ... ورنتْ اليـك بعـين ظبيٍ مُفلِتِ

ورأيتُ أمَّ الخشفِ تَنشُـد بيتها ... أفأنتِ تلك سرقتِ عينَ الظبيـةِ !

نَشَطُوا عن الركب الحبالَ فنفّروا ... سكناتِ أضـلاعى بأوّلِ نفـرةِ

رفعوا القبابَ، وكلُّ طالبِ فتنةٍ ... يرنو اليـك وأنتِ وحدكِ فتنتى

لا آستوطأتْ منّى مكانَكِ خُلّةٌ (٤) ... كلُّ الفـؤاد نصيبُ ذاتِ الكِلّةِ (٥)

---

(١) الصعدة : القناة . (٢) الخَلّة : الحاجة . (٣) الخُلّة : الصداقة . (٤) الخُلّة : الخليلة . (٥) الكِلّة : الستر الرقيق أو غشاء يُتوقّى به من البعوض [ناموسيّة] .

* * *

يامن يلوم على آجتماعى قاعدا ... والأرضُ واسعة الفُروج لنهضتى
ويَرَى الرجالَ وكلُّهم متكثِّر ... بصحابةٍ فيلومنى فى وَحدتى
أعْذُرْ أخاك فما تهجَّر مُشمِسا ... حتى تقلَّص عنه ظلُّ الدَّوحة
كيف آعترافى بالصديق وكيف لى ... بالفرق بين محبتى من بغضتى؟
وقلوبُ أعدائى الذين أخافُهم ... مغلولةٌ لِىَ فى جسوم أحبَّتى
رقَص السرابُ فراقنى من راقصٍ ... كَشَرتْ مودّتُه وراءَ الضَّحكة
ورأيتُ فاغرةً ظننتُ كُشورَها ... طلبًا لتقبيلٍ فكان لهستى (١)
ولَدَ الزمانُ الغادرين فما أرى ... أمَّ الوفاء سوى المقِلِّ المُقِلِّ (٢)
وهُزِلتُ أن سَمِنَ اللئامُ وإنما ... ذلُّ المطامع حرَّ عزَّةَ جوْعتى
ولكلِّ جسمٍ فى النحول بليَّةٌ ... وبلاءُ جسمى من تفاوتِ همّتى
أمَّا على كذبِ الظنون فإنها ... صدَقتْ أمانىَ فى "الحسين" وبرَّتِ (٦٣)
المجدُ ألقحَ فى السماء سحابةً ... نَتجَتْ به مطرَ البلاد فعمَّتِ
أَروَى على يَنَس الشفاهِ وبيَّضتْ ... كفّاه باردةً سوادَ الحِرَّة (٣)
متهلِّلا أعدَى بخُضرة جودِه ... جدبَ الرُّبَى من أرضها المغبَرَّة
"بالصاحب" آنفتقتْ لنا ريحُ الصَّبا ... خِصبا وغنى الساقُ فوقَ الأيكة (٤)
كُفِلَتْ بأُولَى مجدِه أيامُهُ الـ ... ـأخرَى فأحيَا كلَّ فضلٍ ميِّتِ
شَرفًا بنى "عبد الرحيم" فإنما ... تُجنَى الثمارُ بقدرِ طِيبِ المَنبِتِ
لكُمُ قُدامَى المجدِ لكن زادكم ... هذا الجَناحُ تحأُّقا فى الذّروة
غدتِ الرياسةُ منكُمُ فى واحدٍ ... كثُرتْ به الأعدادُ لمّا قلَّتِ

(١) النهس : النهش . (٢) المقلت : المرأة لا يعيش لها ولد . (٣) الحرة : الجارية السود . (٤) الساق : الحمام .

عَطَفتْ لكم يدُهُ وزَمَّتْ أنفُـا ... شُمَّـا لغـير خشاشِـه ماذلَّتِ
لما تقـلَّدها وكانت ناشزًا ... ألقتْ عَصاها للقـام وقـرَّتِ
موسومة بكُمُ فمَن تعـلَقْ بها ... دعواهُ يَفضحُهُ علاطُ(١) الوسمةِ
نِيطتْ عُراها منـه بابنِ نجيبـةٍ ... سهلِ الخُطَا تحتَ الخطوبِ الصعبةِ
يقظانَ يلتقطُ الكرى من جفنِـه ... نظـرُ العواقبِ وٱتقـاءُ العـذرةِ(٢)
لا يطمئنُّ على التـواكُلِ قلبُـهُ ... فيما رعى إن نامَ راعى الثَّـلَّةِ
تدجُو(٣) الأمور وعنـده من رأيه ... شمس إذا ما جَنَّ خطبٌ جلَّتِ
ويُصيبُ مرتجـلًا بأوّل خَطْـرةٍ ... أغراضَ كلِّ مخمِّـر ومُبيِّتِ
تَدمَى بنـانُ النـادمين وسِـنُّهُ ... ملسـاءُ إثرَ ندامةٍ لم تُثكَتِ
ما ضمَّ شمـلَ المُلكِ إلا رأيُهُ ... بعـد ٱنتشار شَـعاعِه المتشتِّتِ
حَسَرَ القذَى عن حوضِه وسقَى على ... طولِ الصدَى فشفَى بأوّلِ شربةِ
من بعد ما غمَزَ العـدا فى عُودِه ... وٱستضعفوا قَـدَمًا له لم تثبُتِ
ولربَّ بادئةٍ وكانت جـذوةً ... كُمُتْ ضراما "بالحسيْن" وتمَّتِ
حاميتَ عنه بصـولةِ المتخمِّطِ(٤) الـ ... ـعادى وهَـدْيِ المستكينِ المُخبِتِ(٥)
وإذا عُرَى الحزمِ ٱلتقتْ عَلَقَ الفتى ... بمَدَى السريعِ على خُطَا المتثبِّتِ
إن الذينَ على مكانِك أجلبـوا ... ضربوا الطُّلى(٦) بصـوارم ماسُلَّتِ
طلبوا السماءَ فلا هم ٱرتفعوا لهـا ... شُلَّ(٧) الأكفُّ ولا السماءُ ٱنحطَّتِ
وبودّ ذى القَدَمِ القطيعةِ ماشـيا ... لو أنّهـا سلمتْ عليـه وزَلَّتِ

(١) العلاط : سمة فى عرض عنق البعير، ومنه : لأعلطنّك علَطَ البعير . (٢) العِذرة : اسم بمعنى المعذرة . (٣) تدجو : تُظلِمُ . (٤) المتخمّط : الشديد الغضب . (٥) المخبت : الخاشع المتواضع وفى القرآن الكريم (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) . (٦) الطُّلى : الأعناق أو أصولها . (٧) شُلّ جمع أشلّ .

خانَ السُّرى ركْبَ القِلاصِ (١) وسُلِّمتْ ... بُسُطُ الفلاةِ الى القُرومِ (٢) الجِلَّةِ (٣)

يَفْديكَ مُرتابٌ بغاطِيَةِ حظِّه ... سَرَقَ السيادةَ من خِلالِ الفَتْكةِ

ما رُدَّ يوماً عازبٌ من عقلِه ... إلاّ رأى الدنيا به قد جُنَّتِ

قُبِضتْ يداه وما يبالي سائلٌ ... بخِلتْ عليه يدُ امرئٍ أو شَلَّتِ

وأرى الوزارةَ لا يُعاصِلُ (٤) نابَها ... حاوٍ سواكَ على اختلافِ الرُّقيةِ

يرجوكَ ريِّضُها لمتنِ مُزلِقٍ ... قد قُطِّرتْ (٥) فُرسانُهُ فتردَّتِ

يشتاقُ ظهرُكَ صدرَ مجلسِها وكم ... شكَتِ الصدورُ من الظهورِ وضجَّتِ

وإذا التفتَّ الى الأمورِ رأيتُها ... مذخورةً لكَ من خِلالِ تلفُّتِ

فأَلُمَّ متى يامنتَ سانحَ طيرِه ... صدقَتْ عِيافتُها بأقربِ زجرةِ

فهنالكَ فاذكُرْ لي طريفَ بشارتي ... بعلاكَ واحفَظْ تالداً من صحبتي

لو شافَهَ الصُّمَّ الجلادَ محدِّثٌ ... عنكم بني "عبد الرحيم" لأصغتِ

أو عُوِّضتْ بكمُ السماءُ وقد هوتْ ... أنوارُها بَدَلَ النجومِ تسلَّتِ

الباذلونَ فلو تُصافحُ راحَكم ... ريحُ الصَّبا وهي الحيا لاستحيتِ

والقائلونَ بلاغةً فلو احتبَتْ ... أمُّ الفصاحةِ بينكم لأَذَمَّتِ (٦)

أنِستْ بفاتحةِ الكتابِ شِفاهُكم ... ورزقتُمُ ظَفَرَ الكتابِ المُسكِتِ

---

(١) القلاص جمع قلوص وهي الشابة من الإبل . (٢) القروم جمع قَرْم وهو الفحل من الإبل وقيل : السيد العظيم على التشبيه بالفحل وقد جُمع كلاهما في قول المتنبي :

ولكنّ نذاعب منك قرماً ... تراجعت القرومُ له حِنانا

أي نمازح منك سيداً عظيماً صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة الى فحول الجمال . وحقاق جمع حِقّ وهي الناقة التي استكملت أسنانها هرماً . (٣) الجلة جمع جليل . (٤) يعاصل : يعوّج .

(٥) قطّرتْ : ألقيت على قطرها . (٦) لأذمت : لأغيت وتخلفت .

لكُمُ ألحنى صَيدى (١) وأعسلَ حنظلى ... للجتنى وتولّدتْ حُوشيّتى (٢)
وسحرتمونى منصفين مودّةً (٣) ... وزيادةً يومَ رَخاى وشدّتى
أعشيتمُ فبطنتُ (٤) فى عرصاتكمْ ... والعمرُ يقنعُ بى بفضلِ الجرّةِ (٥)
أدعو وغابَ أبى وقلّ عشيرتى ... ليكون نصركمُ إجابةَ دعوتى
ومتى تقيّدُنى الليالى عن مدًى ... قمتم فأوسعتم اليها خطوتى
عجبَ المديحُ وقد عممتكمُ به ... من رجعتى فيه عقيبَ ألّيتى
حرّمتُه زمنا فكنتم وحدكم ... من بين من حملَ التراب تحلّتى
هو جوهرٌ ما كلُّ غائصةٍ له ... بالفكر تعلمُ ما مكانُ الدُّرّةِ
ويصحُّ معناه ويسلمَ لفظُهُ ... ونظامُه، وهناك باقى العلّةِ
كم خاطبٍ بأعزّ ما تحوِى يدٌ ... عذراءَ منه وعرضُه دونَ ابتى
ولقد زففتُ لكم كمائنَ خدرِه ... فكرمتمُ صهرًا ووالى عذرةِ
من كلّ واكبةٍ بفضلِ عفافها ... والحُسنِ عُنْقَ العائبِ المتعنّتِ
عزّتْ فما عثرتْ بغير معوِّذٍ ... بلعًا (٦) ولا عطستْ بغير مُشمّتِ
أمنةٌ لكم بجزيل ما أوليتمُ ... وتُصانُ عندكمُ صيانَ الحرّةِ
سلمتْ على غررِ الخلاف، ولادُها ... فى أمّةٍ ووِدادُها فى أمّةِ
مدّتْ الى "ساسانَ" (٧) ناشرَ عرقِها ... وقضت لها "عدنانُ" بالعربيّةِ
يُصغى الحسودُ لها فيشكرُ أذنَهُ ... طربا ووَدّ لغيظه لو صمّتِ

---

(١) الصيد : رفع الرأس كبرا . (٢) الحوشية : وحشى الكلام وغريبه ، يريد أنه صعب ولّما بعد حوشيته . (٣) سحرتمونى : ملأتمونى ، وفى الأصل "سحرتمونى" وهو تحريف . (٤) بطنت : عظم بطنى من الشبع . (٥) الجرة : ما يفرض به البعير فيأكله ثانية . (٦) لبعا : كلمة تقال عند العثرة دعاء بالانتعاش . (٧) ساسان : جد ملوك الأكاسرة الساسانية .

تَسرِى رفيقةَ كلِّ يومٍ مُؤذِنٍ ... بسعادةٍ فاذا ألمَّ ألمَّتِ

تَروِى لكم عن "ذى القرون"(١) حديثَهُ ... قِدْماً ويُحيى نشرُها "ذا الرُّمَّةِ"(٢)

أحمدتُمُ ماضىً فى أمثالها ... ولئن بقيتُ لتحمَدُنَّ بقيَّتى

* * *

وقال فى غرض له

رعى الله يوم البين ظبيا أذمَّ(٣) لى ... بما أثَّر التوديعُ فى وجناتِهِ

تعاطيتُ إلا النومَ بعد فراقِهِ ... كأنّى عليه مُستقِمٌ بحياتِهِ

وصرتُ أذمُّ الدهرَ فى الليل ما دجا ... وعهدى به والليلُ من حسناتِهِ

* * *

وقال يرثى الصاحب بن عبد الرحيم ويتفجع له

قِفَا نِضوَىْكما "بالغَمْرِ"(٤) نُسألْ ... حَفِيّاً(٥) أينَ مثوَى المكرماتِ ؟

وأىُّ ثرًى كريمِ العِرقِ سِيطَتْ(٦) ... به رِمَمُ المعالى الدارساتِ ؟

وأينَ لذكرها تحتَ الغوادى ... مَطارحُ أعظمٍ فيها رُفاتُ ؟

وكيف تكوّرتْ بيدِ المنايا الـ ... ـغزالةُ مَدْرَجاً(٧) للسافياتِ ؟

وإن أصفَى(٨) مَزارُكما قُتُرّا ... بأذنبةٍ(٩) هُنالكَ مُترَعاتِ

أنامِلُ "للحسين" غبرقَ حينا ... ضرائرَ للغيوث المُرزِماتِ(١٠)

وأوذَا مُستنَدَيْنِ بجنب طَودٍ ... من المعروف عالى الهضبِ عاتى

---

(١) ذى القرون : الإسكندر . (٢) ذا الرمة : اسم شاعر . (٣) أذمّ لى : أخذ لى عليه الذمة . (٤) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . (٥) الحفىّ : العالم يتعلم الشىء بالاستقصاء وفى القرآن الكريم ( يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ) . (٦) سيطت : خُلطت . (٧) الغزالة : الشمس ، والسافيات : الرياح تحمل ترابا . (٨) أصفَى : خَلَا . (٩) أذنبة جمع ذنوب وهو الدلو . (١٠) المرزمات : المجلجلات بالرعد .

فـثَمَّ الجـارُ مجمىً النَّـواحِي ... وثَمَّ الرِّعىُ مكتهلُ النباتِ
وثَمَّ الوجـــهُ أبلجُ والمسـاعى الـ ... ـكرامُ وثَمَّ حاجاتُ العُـفاةِ
قِفَا فتنادَيا فلعـــلَّ صـــوتًا ... سـيزقو (١) أو يُصـيخ الى الدُّعاةِ
وقولا : كيف يا حَنَشَ الرمالِ آخـ ... ـتُدِعتَ ولستَ من قَنَص الرُّقاةِ ؟
مَن الحاوى الذى ٱنتزعتْ يداهُ ... نيوبَ العـزِّ من تلك اللَّهاةِ ؟
لعمرُ العاطفين اليـــك ليـــلًا ... لنعمَ أخو العشـايا الصالحـاتِ
ونِعمَ عدوّ مالِكَ كنتَ فيهـــم ... وخصمُ الجالبـاتِ الرابحـاتِ
ومأوَى كـلِّ مُطَّـرِدٍ تُرامِى ... به الأخطـارَ أيدى النائبـاتِ
لِمَنْ خيـلٌ تُضـمَّر للسرايا (٢) ... وفُرسانٌ تُخمَّـر للبَيـاتِ ؟
وأنـديةٌ وأروقـةٌ رِحابٌ ... تَضُمُّ بدائدَ الفضـلِ الشتـاتِ ؟
ومَنْ للمحكَماتِ من القـوافى ... تطـيرُ بهنَّ أجنحةُ الرُّواةِ ؟
ومَنْ لى يَرحَمُ الأيّامَ عـنّى ... وقـد هجَمتْ علىّ مصمِّماتِ ؟
ويجـذِبُ من يد الزمن المُعاصى ... بأضـباعِى (٣) الى الزمن المُواتِى ؟
ومَن ذا قائـلٌ : خذْ أو تحكَّمْ ؟ ... إذا أنا قلتُ : هَبْ، أو قلتُ : هاتِ
وما أنا والعـزاء وقد تقضَّتْ ... حيـاةٌ تُسـتَمَدُّ بهـا حيـاتى
يُعنِّفُنى ـ أنْ صُدِعتْ ضلوعى ـ ... خَلِىُّ القلبِ من تلك الهَنـاتِ
كأنّى فيـــك أُبعَثُ بالتأسّى ... على جزعى وأُغـرَى بالعظاتِ
رزئتُـك أطولَ الرجلينْ باعا ... وأمضَى الصارمينْ على العُـداةِ
وأوفَى من سِراج الأفق نوراً ... إذا الأيّام كانت داجيـاتِ

(١) سيزقو : سيصيح . (٢) السرايا جمع سَرِيَّة وهى قطعة من الجيش . (٣) أضباع : جمع ضبع وهو العضد .

كأنّى قبلَ يومِك لم أُفزَّعْ ... بصائحةِ العشيِّ ولا الغَداةِ
ولم تُطرَفْ بفاجعةٍ لحاظى ... ولم تُفزَعْ بمَرزِئةٍ(١) صَفاتى
بكيتك فى العُناةِ(٢) فحين قالوا : ... قُتِلتَ، وددتُ أنّك فى العُناةِ
أصاب السيفُ منك غِرارَ(٣) سيفٍ ... وحُطَّ بك الفُراتُ الى الفُراتِ
فلا زالت هى البُتُرَ(٤) النَّواتى(٥) ... سيوفٌ أسلمتك الى النَّواتى(٦)
ذوائبِ أسرتى وكرامِ صَحبى ... وإخوةِ شِدَّتى وبنى ثِقاتى
هوت "بالصاحب" القِرطاتُ(٧) منّى ... فَرُحْتُ بعاطلاتٍ مُصْلَماتِ(٨)
لقد خُواستُ وُسطَى العِقدِ منكم ... به وخُدِعتُ عن أُخرى القناةِ
فيا مطلولُ ، بلَّ ثراك صبحًا ... صلاةُ الله تَتبعُها صلاتى
لقد واسيتنى فى العيش دهرا ... فمالى لم أُواسِك فى الممات
عَسَى وبَلَى لنا لا بدّ يومٌ ... سيَقضِى فيك ممطولَ التِّراتِ
فإن أَجزعْ فماضٍ كلُّ ماضٍ ... وإن أصبِرْ فآتٍ كلُّ آتِ

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبد الله الذهبىّ الكاتب ، يذكُر سرورَه بمودّتِه من بين الإخوان، وقد سأله ذلك

دعْها تكُنْ كالسَّلْفِ(٩) من أخَواتِها ... تَجرِى بها الدنيا على عاداتِها
ما هذه يا قابُ أوّلُ عثرةٍ ... قذَفتْ بك الأطماعُ فى لَهَواتِها
هى ما علمتَ، وإن أَلِمتَ لقصلةٍ ... من ثِقلِ وطأتِها وحدّ شَباتِها

(١) المرزئة : المصيبة . (٢) العناة جمع عانٍ وهو الأسير . (٣) الغرار : الحدّ .
(٤) البُتُر : المقطوعة . (٥) النواتى : المبالغة ضعفا . (٦) النّواتى : الملاحون .
(٧) القِرطات : القُرط ما يُعلّق بالأذن وجمعه قِرطَة والقرطات جمع الجمع وفى الأصل "القرطات".
(٨) مصلمات : مقطوعة الآذان . (٩) السَّلَف : المتقدم، وسكّنت لامه للضرورة .

كم خطوةٍ لك فى المُنى إزليقةٍ (١) لم تنتصرْ بِلَعًا على عثراتِها
وذخيرةٍ صَفِقتْ يداك تضمُّها والدهرُ خلفَك مولَعٌ بشَتاتِها
ووثيقةٍ أجلأتَ ظهرَك مُسنَدًا بغرورِها فسقطتَ فى مَهواتِها
لو كنتَ عند نصيحتى لم ترتَقِ (٢) بمشُورةِ الآمالِ فى حَلَقاتِها
وهَوًى أطعتَ أميرَهُ فى لذّةٍ متبوعةٍ لم تَنجُ من تَبِعاتِها
يبنى السفينَ اللامعاتِ سرابُها ويُعَدّ مخدوعا ترابُ فلاتِها
وفتاةِ قومٍ لا ينامُ مُغيرُهم رُمتَ اقتسارَهمُ على خلواتِها
شحذوا المُدَى لك دونها فركِبتَها تغترُّ حتّى طِرتَ فى شَفراتِها
ويمينِ جاريةٍ سلكتَ فى مِسباحِها وذهبتَ فى آناتِها (٣)
ما كانَ قبلَكَ لحفاظِ شريعةٌ فى دينِها أبدًا ودينِ لِداتِها
نظرتْ فكنتَ ضريبةً لحسامِها ومشتْ فكنتَ دَريئةً (٤) لقَناتِها
ومضيتَ تتبعُ وصلَها ولسانُها (٥) والرشد عند صدودِها ووشاتِها
نَمّ فد سهرتَ فدونَ يومِ وفائِها ـ وهى التى جرّبتَ ـ يومُ وفاتِها
واشكر لها كَشْفَ القِناعِ فإنها غَدرتْ فكان الغدرُ من حسناتِها
واذكر مآربَ غيرِها واعجبْ لها غصبتك أقفُها على لذّاتِها !

* * *

ومُلثَّمينَ على النِّفاقِ بأوجهٍ صُمٍّ يصيحُ اللؤمُ من قَسماتِها (٦)

(١) إزليقة : لم نعثر على هذه الكلمة ولعله يريد بها "زلّاقة" . (٢) لم ترتق : لم تُدخِلْ رأسك فى الربقة وهى عروة فى الحبل الذى يشدّ به البهم وقد تقدّم . (٣) هكذا ورد بالأصل رسما وشكلا ولم نوفق الى صحة وزنه ولا الى اكتناه ألفاظه ومعناه . (٤) الدريئة : الحلقة يُتعلّم الطعن عليها . (٥) لسانها أى المتكلم عنها ويريد به الواشى . (٦) القَسمات جمع قَسمة بفتح السين وكسرها : الوجه ، أو ما بين الوجنتين والأنف .

صبغوا الوفاءَ بياضَه بسوادِه ... والمكرماتِ هبوبَها بسُباتِها
متراهنين على الدنيَّةِ أحرزوا ... غاياتِها وتناهبوا حَلَباتِها
ورِثتْ نفوسُهمُ خبائثَ أصلِها ... لؤماً وزادت دِقَّةً من ذاتِها
أيدٍ تجفُّ على الربيع وألسنٌ ... سَرَقَ السرابُ الإفكَ من كلماتِها
يَصِفُ المودّةَ بشرُها ووراءه ... بِشرُ الزجاج يشِفُّ عن نيّاتِها
دَسُّوا المكايدَ في مواعدِ حُلوةٍ ... كانت عقاربَ والكِذابُ حُماتِها (١)
خَلْقٌ إذا حَدّثت عن أخلاقِها ... فكأنما كشَّفت عن سَوآتِها
لله آمالٌ أرَقتُ دماءَها ... فيهم فلم يتعلّقوا بذِيَاتِها
وكرائمٌ وَلَّيتُ فَضَّةَ عُذرِها (٢) ... منهم سوى أكفائِها وكُفاتِها
غُرٌّ أهنتُ على اللئام كرامَها ... وأبحتُ أبناءَ العُقوقِ بناتِها
أهملتُها فيهم سُدًى مظلومةً ... تبكي أراجزُها على أبياتِها
يتناكرون حقوقَها من بعد ما ... عُلِطوا (٣) على أعراضهم بسِماتِها
من كلّ مفتوحٍ اليها سمعُهُ ... مضمومةٍ كفّاه دون صِلاتِها
يَهوَى العُلا فاذا ارتقى ليناظها ... ردّاهُ (٤) حبُّ الوفرِ من شُرُفاتِها
حيرانَ يتبعُ من أخيه ونجلِهِ ... ما يتبعُ الأصداءَ من أصواتِها
مَن عاذري منهم ومَن لحرارةٍ ... أشرجتُ (٥) أضلاعي على جمراتِها ؟
ولحُطّةِ خَسْفٍ عصبتُ بعارِها ... رأسَ العلا وحططتُ من درجاتِها ؟
أنا ذالك جانيها فهل أنا آخذٌ ... غيري بها وهو الذي لم يأتِها (٦) ؟

(١) حُمات جمع حُمَة وهي إبرة العقرب تضربُ بها . (٢) العُذر : البكارة . (٣) عُلطوا : وُسِموا . (٤) ردّاه : أسقطه . (٥) أشرجت : جمعت أشراجها والاشراج : العُرى .
(٦) يأتها : يأتها وقد سهّلت الهمزة .

يا حظَّ ما لك ؟ لا أقالك عثرةً ... جارى الحظوظِ وغافرٌ زلّاتِها

كم أشتكيك وأنت صِلُّ حَماطةٍ[1] ... لا يطمعُ الحاوون فى حيّاتِها ؟

عيشٌ كَلا عيشٍ ونفسٌ ما لها ... من مُتعةِ الدنيا سوى حسراتِها

وتودّ حين تودّ لو ما بُدّلتْ ... أحبابَها من جَورها بعُداتِها

ويزيدها جَلَدا وفرطَ تجلُّدٍ ... بين العدا الإشفاقُ من إشماتِها

إن كان عندك يا زمانُ بقيّةٌ ... ممّا يضامُ بها الكرام فهاتِها

صبرا على العوجاءِ من أقدارِها ... لا بدّ أن تجرى الى ميقاتِها

ولعلَّها بالسخط منك و بالرضا ... أن تستقيمَ طريقُها بُحُداتِها

كم مثلِها ضاقتْ فجلّ[2] ضيقَها ... يومٌ ولم يُحسبْ جَلا غَمراتِها

ولقد كبرتُ فهل علمتَ مكانهُ ... من صفوِ أيّامى ومن خيراتِها ؟

خِلًّا تخيَّلَه ارتيادى واحدا ... صحّتْ به الدنيا على عِلّاتِها

غلِطتْ به أمُّ الزمان فأنجبتْ ... فيه وخابت فى بنى عَلّاتِها[3]

لى منه كالئةُ العيون وبسطةُ الـ ... ـأيدى الثقاتِ اذا عدمتُ ثِقاتِها

وقرابةُ الأخ ، غيرَ أنّ مسافةً ... فى الودّ لم يبلغ أخى غاياتِها

من ما نمى حَرَمِ الإخاءِ وافضى ... طُرُقِ الوفاءِ فمُحرزى قصباتِها

والسالمين على تلوّنِ دهرهم ... وتحوّلِ الأشياء عن حالاتِها

واذا الأكارعُ والرعانفُ عوّروا ... من خلّةٍ كانوا مكانَ سَراتِها

نبهتُه ومن العيون غضيضةٌ ... حولى وأخرى كنتُ أخت قَذاتِها

---

(١) الحماطة شجرة التين أو الجميز وعشبة خشنة المسّ . (٢) جلّ : فرج . (٣) بنو العَلّات : بنو أمهات شتّى من رجل واحد ، واحدتها "عَلّة" وهى الضَّرّة .

فأثرتُ منه أبا الشبول فمالت الـ (١) (٢) ـأرماحُ تدعسُه (٣) على غاباتها

ملآن من شرف السجيّة، نفسُه تحوى الفضائلَ عن جميع جهاتها

منقادة للمكرماتِ، وأنفسٌ تدعُ العلا وتُقادُ فى شهواتها

ما اختارت المختارَ لى إلا يدٌ وثقتْ لمُغرسها بطيبِ جنتها

لله خائلةٌ رأيتُ وِدادَها بدلالة التوفيقِ فى مرآتها

ردَّ الزمانُ به شبيبةَ عيشتى بعد اشتعال الشَّيبِ فى شَعَراتها

وتسوّمت غُرًّا محجّلةً به أيامُ دهرٍ قد نكرتُ شياتها

كم خَلَّةٍ داويتُها بدوائها منه ونعمَى كان من أدواتها

وملمّةٍ وَلِىَ الزمانُ فُتوقَها منّى رقعتُ به وسيعَ هَناتها

من حاملٍ صُحُف الثناءِ أمانةً لا يستطيعُ النَّكثُ (٤) قرعَ صَفاتها

شكرا كما ضحكتْ اليه مجودةٌ (٥) "يا حَزْنِ" باقى الطلِّ فى (٦) حَنواتها

يغدو فينقُلُ ثِقلَها بسكينةٍ فى (٧) سَمْتِها هَدْىٌ وفى (٨) إخباتها

طَبٌ بعلم فُروضها وقُروضها حتى يؤدّيَها على أوقاتها

أبلغ "أبا الحسَن" التى ما بعدها مرمًى لغالبة المنى ورُماتها

عنّى: مُغلغَلةً تُسِرُّ حديثَها (٩) أمّ الكواكبِ أو أعيرَ صِفاتها

من منبع الحُلوِ الحلالِ اذا غدا مِلحُ القرائح ذاهبا بفُراتها

لو نازل الرُّهنانَ (١٠) حطَّ قِنانَها (١١) فصبت اليه وحلَّ من عَزَماتها

(١) الشبول جمع شبل وهو ابن الأسد. (٢) بالأصل "تمالت" وهو تحريف. (٣) تدعسه: تدافعه. (٤) فى الأصل: "النَّكْتُ". (٥) مجودة: ممطورة. (٦) الحنوات جمع حنوة وهى العطفة. (٧) السمت: السير على الطريق بالظن. (٨) الإخبات: خروج القوم للخبت وهو المطمئن من الأرض. (٩) أمّ الكواكب: الشمس. (١٠) الرُّهنان: اسم موضع ولعله مشهور بقنان جباله. (١١) قِنان جمع قُنّة وهى قلّة الجبل.

يَجزيك عن كسب العلاء وحبِّهِ ... ما تَنطقُ الخرساءُ بعدَ صُماتِها (١)

وتَردُّ أعراضَ الكرام كأنّها ... يمنيّـــةٌ تختالُ فى حِبَراتِها (٢)

ثَمّنا لودِّك، إن يكن ثَمناً له ... بذلُ القوافى فيك مكنوناتِها

تسخو به لك من نَخيلةِ سرها ... نفسٌ ترى بك ما ترى بحياتِها

* * *

وقال وكتب بها الى أبى قَوامٍ ثابتِ بنِ على بن مزيدٍ يتنجّزه وعدا وذلك فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

خصيماىَ من "ظمياءَ" واشٍ وشامتٌ ... وحظّاى مظنونٌ لديها وفائتُ

وقلبى لها وحشيّةٌ ضلّ خشفُها ... تُطاولُ تبغيـهِ الرُّبا وتُلافتُ

مضت ليلةٌ تقتصّه بعـــدَ ليلةٍ ... ويومٌ تداجيه الشخوصُ الثوابتُ

تناشِدُ عنه النجمَ : أين طريقُهُ؟ ... تحارفُه طَورا وطَورا تسـامتُ (٣)

ولا هو منها حيث يُجمَـعُ شاردٌ ... ولا يُرتجَى للعَـودِ إن عاد فالتُ

سوى أنها مرّت بماء سُوَيقةٍ (٤) ... سُحَيراءَ (٥) ورامٍ بالشربعةِ بائتُ

على يده للـــرزق أذلعُ (٦) أحرسٌ (٧) ... وضَلعاء (٨) فوها ساعةَ النزع صائتُ

يقوت شِعاثاً (٩) مقترين (١٠) بفضلها ... أطابت له أو جانبتـــه المَقاوِتُ

فما رابها إلا دمٌ ونُـــويرةٌ (١١) ... ومنتقياتٌ (١٢) من عظامٍ رفائتُ

---

(١) الصُّمات : لغة فى الصُّموت وهو السكوت . (٢) حبراتها بكسر الحاء وفتحها جمع حَبَرة : ضرب من برود اليمن . (٣) تسامت : تقابل وتوازى . (٤) سويقة تصغير ساقية .
(٥) سحير تصغير سحر . (٦) الأذلع : متشقق الشفتين ويريد به السهم ، وفى الأصل "أذلع" .
(٧) الأحرس : القديم العادىّ الذى أتى عليه الحَرَس أى الدهر . (٨) الضلعاء : القوس المعوجّة .
(٩) شعاثا : غُبْر الرءوس . (١٠) مقترين : معسرين . (١١) نويرة تصغير نار .
(١٢) منتقيات : أُكلَ نِقْيُها وهو مخّها .

فعادت تُماشي اليأسَ موضعَ ظلِّهِ ... وللحَيْنِ ـ لو أغنى الحذارُ ـ مَواقتُ

وخبّرني السُّقّارُ أن قد تبدّلتْ ... فقلت : حديثُ مضحكٌ وهو كابتُ[1]

أسدَّ مكاني في الهوى مَنْ تعوّضتْ ؟ ... مَدًى وأبيها بيننا متفاوتُ !

أمِنْها خيالٌ والجُنوبُ خوافقٌ ... بجانب "خَبْتٍ"[2] والجفونُ خوافتُ ؟

طوى الليلَ نجمًا وهو يستثقلُ الخُطا ... بساهلةِ الأردافِ ثم يعانتُ[3]

فبتنا به في ضَوعةٍ وإنارةٍ ... وبانُ "اللّوى" خزيان والبدرُ باهتُ

نرى أنّ فأرَ[4] المسك تحتَ رحالنا ... فنائقُ من أردانه وفنائتُ

سلِ الخيمَ[5] بالبيضاء من جانب الحمى : ... أتُجمِعُ أوطاري بكنّ الشتائتُ ؟

وهل لطريدٍ سلّه الدهرُ مُدرَكٌ ... فتُعقَلَ لي ليلاتكنّ الفلائتُ ؟

اذ العيشُ حيٌّ والزمانُ مراهقٌ ... فحيٌّ وريحانُ البطالةِ نابتُ

تلوّنَ رأسي صِبغتين فبتُّ وذو نبّهٍ أو لاحقٌ متماوتُ

وأمست على أيدي الغواني حبائلي ... وهنّ بأطرافِ البنانِ بتائتُ[6]

وما الدهرُ إلا داءُ همٍّ مماطلٌ ... مدى العيشِ أو خطبٌ هجومٌ مباغتُ

عذيري من الإخوانِ لا أستشفُّ من ... قلوبهمُ مَنْ وامقٌ لي وماقتُ

خِفافًا الى ما ساءني فصالتٌ[7] ... به أو مُداجٍ ، كيف لي لو يصالتُ ؟

جعلتُ الجفاءَ عُوذةً لي منهمُ ... وفي الناسِ أجسادا قلوبٌ عفارتُ

وعلّمني نبذي لهم وتوحُّدي ... بنفسيَ أنّي في التكثّرِ غالتُ[8]

---

(١) كابت : محزن . (٢) خَبْت : من قُرى "زبيد" باليمن . (٣) يعانت : يشقّ عليه .

(٤) الفأر : النابلة وهو وعاء المسك . (٥) الخيم : اسم جبل . (٦) بتائت : مقطوعة .

(٧) الصالت : الضارب بالسيف . (٨) الغالت : الذي يغلط في الحساب وقيل : الغَلَتُ في الحساب ، والغلط في القول .

سل السارحَ المخدوعَ أعجف مالَه ... جَفاءُ السُّمى(١) والسنونَ السوانتُ(٢)،

توغَّل يرجوها وتُخلفُ ظنَّـــه ... مَنابعُ أكدَى ماؤها ومَنابتُ :

الى أين ؟ وابن الغاضريةِ(٣) شاهـدٌ ... يغـرُّك نجـمٌ أو يدلُّك خارتُ(٤)

تلقَّ الحيا من جَوِّه وارعَ روضَـهُ ... تَدرّ العجافُ أو تعيش المَوائتُ

ألا إنما بدرُ السماءِ ابنُ شمسها ... وبدرُ بنى "عوفٍ" على الأرض ثابتُ(٥)

فتًى، لا على الأعذارِ بالعهد ناكثٌ ... ولا مَعَ فرط الجود للسنِّ ناكتُ(٦)

يبيتُ خميصا جنبُـــهُ ووسـادُه ... وطارقُهُ خِصـــبا كما شـاء بائتُ

اذا الليلةُ الطُّولى أمرّتْ وأيبستْ ... فللضيف منه مُتمِرُ الليـلِ رابتُ(٧)

تَرَى مالَهُ ما ســلَّه الجودُ لا التى ... تناعرُ(٨) حوليها الحـداةُ المَصاوتُ

رخىُّ البنانِ فى النوائب كلَّمـا ... أضبَّ(٩) على المـال الحسيبُ(١٠) المباكتُ(١١)

تَهادَى نساءُ الحىِّ وصـفَ حنانه ... وتأباه فى الروع الرجال المَصالتُ(١٢)

ترى الحلمَ مشـــحونا وراء ردائه ... اذا مرَّ يزرو الطائشُ المتهـافتُ

فهل مبلغٌ عنى "خُزَيمةَ" ما وعى ... حصاها البديدُ أو رباها الثوابتُ ؟ :

وَفَى لكِ مجدا ما تَعُدِّين فى "أبى ... قَوامٍ" اذا خان الفـروعَ النوابتُ

ولدتِ وأولدتِ الكبيرَ ومثلُه ... قليـــلٌ وأُمَّاتُ الصقور مقالتُ(١٣)

سبقتَ فـــلم يعلَقْ غبارَك جامحٌ ... وفتَّ فـــلم يملكْ صِفاتِك ناعتُ

---

(١) السمى جمع سماء وهو المطر . (٢) السوانت : المجدبة . (٣) الغاضرية نسبة الى "غاضرة" : قبيلة من أسد . (٤) الخارت : الدليل الحاذق الذى يهتدى الى أخرات المفاوز وهى مضايقها وطرقها الخفية . (٥) ثابت : اسم ممدوحه . (٦) ناكت : قارع . (٧) الرابت الذى يضرب على جنب الصبى يده لينام . (٨) تناعر : تصوّت . (٩) أضبَّ على المال : أخفاه وأمسكه . (١٠) الحسيب : الحاسب . (١١) المباكت : المستقبل غيره بما يكره . (١٢) المَصالت جمع مِصلت وهو الشجاع . (١٣) مقالت جمع مِقلات وهى التى تلد واحدا ثم لا تلد .

وجرّبك الأعداءُ غمـزا وهمزةً ... فما خدشتْ فى مَروتَيْك النواحتُ
فذاك صـديقٌ وجهُـهُ، وفؤاده ... مُعادٍ على دين المعالى مُعانتُ
يريك الرضا والغـلُّ حشو جفونِهِ ... وقـد تنطقُ العينان والفمُ ساكتُ
طوَى بِغضةً فى جفنـه فهو باسمٌ ... وفى فيـه ليثٌ كاشرٌ لك هارتُ (١)
أهبتُ بشِعرى فانبرت لك عيسُهُ ... بما حملتْ وهى الخُضوعُ انحَوابتُ
فعـادت بما أرعيتَها، ولِبانُهـا (٢) ... طَواعٍ (٣) على لىّ الحبـالِ ضواغتُ (٤)
ونادتك لُغواتُ (٥) السؤال فأفصحت (٦) ... يداك وأيدى المـانعين صوامتُ
وأوسـعتنى مالًا أتى لم تُخَضْ له الـ ... ـدياجى ولم تُفضَضْ عليه السَّبارتُ (٧)
وخُلْقًا كما شعشعتَهـا ذهبيَّـةً ... "بابلَ" أهدتهـا اليك الحوانتُ
ولم تك ـ حاشا مجدِ نفسك ـ كامرئٍ ... تَصـامَمَ عنّى وهو للمدح ناصتُ
وقومٍ كأن الشِّـعر فيهـم بليّـةٌ ... أعرّتْ (٨) وعافتها الأكفُّ الزوافتُ
فكن سامعا ما آمنتْ باعُك فى العلا ... وسُرَّ محبٌّ أو تخيَّبَ شـامتُ
ثناءً، فمُ الراوى عليـك مسـلَّمٌ ... به ومصـلّى الشكر باسمك قانتُ
تزورك منه فى أوانٍ فروضها ... قوافٍ لهـا عنـد الكرام مَواقتُ
يُفِدْن الغنى أضـعافَ ما يستفدنَهُ ... وهن بقايا والعطايا فـوائتُ
أقول لأيّامى : دعى لىَ أو خذى ... فما أنتِ إلا المقبلاتُ اللوافتُ
فلست أبالى مَن تزيَّل ركبُهُ ... "وثابت" لى على المودة ثابتُ

(١) الهارت : واسع الشدق . (٢) لبان جمع لَبون وهى الغزيرة اللبن . (٣) طواع جمع طاعية وهى الطائعة . (٤) ضواغت جمع ضاغتة وهى التى تلوك أسنانها وتواجذها ، فى الأصل "طواعت" . (٥) لُغوات جمع لُغوة كعُرفة وهى اللغة . (٦) فى الأصل "فأصبحت" ولا معنى لها . (٧) السبارت جمع سُبروت وهو القفر لا نبات فيه . (٨) أعرّت أى جاءت بالعر وهو الجرب .

* * *

وقال وكتب بها الى تاج الدولة أبى المكارم بن مُكرَم بعد انقطاعه عن مدحه وأنشده إياها فى عيد النحر

حماها بأطراف الرماح حُماتُها ... فلا حَفلُها منّا ولا خَلواتُها

وذُبّب (١) عنها من "عُقَيلِ بن عامرٍ" ... أراقمُ لا تحوى شَباها رُقاتُها

عشيرةُ مكلوءِ البيوتِ محصَّنٍ ... يَعِزُّ بنوها أن ترام بَناتُها

معودة طردَ العيوب غيوبُها ... اذا حفظتْ عوراتِها أسَلاتُها (٢)

وحرَّم واليها الوُلوعَ بذكرها ... وإن عَتبت أخرى عليها سِماتُها

فهل مغمَزٌ فى جانبٍ من ورائه ... "سلامةُ" يا قلبى وهذى حَصاتُها (٣)؟

فكم فى بيوت "العامريّات" من هوًى ... يُباط كما نيطت بها خالقاتُها

ومثلُكَ أسرَى لا يُسام فداؤها ... هواناً وفتكى (٤) لا تُساق دياتُها

بلى لكَ منها فى الكرَى إنْ وفَى الكرَى ... وفى الريح حظٌّ إن جرت نفحاتُها

وليلٍ "بذى ضالٍ" قصيرٍ طويلُه ... على البُدْن، تطوى دَرجَه ناجياتُها

ترى العيسُ فى أجوازه بقلوبها ... الى قصده ما لا ترى لحظاتُها

بها من حنينٍ تحته ما بركبها ... وإن نطقوا الشكوى وطال صُماتُها

اذا الريح قرّت (٥) فاستهزّت ضلوعَهم ... تصلّوا (٦) بما تُذكى لهم زفراتُها

سَرتْ بنشاوَى من مُعاقرة السُّرى ... وسائدُهم فوق الثرى رُكَباتُها

نضَوا ما نضَوا من ليلهم ثم هوَّموا ... غِرارا (٧) وقد خاط العيونَ سِناتُها (٨)

---

(١) ذبّب: دافع. (٢) أسلات جمع أسلة وهى مستدق اللسان. (٣) الحصاة: العشيرة القوية الكثيرة العدد. (٤) فى الأصل: "قَلِبى" وهو تحريف. (٥) قرت: بردت. (٦) تصلّوا: استدفأوا. (٧) الغرار: القليل من النوم. (٨) سنات جمع سِنَة وهى فتور يتقدم النوم.

عـلى ساعةٍ جِنَّ الفـلاةِ ورِحْتُها ... تريها الشـخوصَ الزُّورَ عنا فلاتُها
تخطَّت الينا "الغورَ فالعرضَ فالحمى"(١) ... وما ذاك ممشاها ولا خُطواتُها
فبتنا لها في نعمةٍ شُكِرتْ لها ... وما هي جَـدواها ولا أعطياتُها
عواطفُ دُنيا في الكرى لو أردتُها ... عـلى مثلها يقظانَ عَزَّ التفاتُها
فـلم أرها وعنـد قومٍ أداتُها ... من العيش إلا وهْيَ عندي أداتُها
سـقى الله شرًّا دوحةً لي سَيالُها(٢) ... وللناس مُلْقَى ظلِّها وجَناتُها(٣)
ولودا، ولي من حظِّها بطنُ حائلٍ ... معنَّسـةٍ(٤) شابت وشابَ لِداتُها
أغامز منها صخرةٌ "إرميّـةٌ"(٥) ... تفُـلُّ النيوبَ وهي جَلْدٌ صَـفاتُها
وكيف تسـامُ النَّصْـفَ أمٌّ تلوَّنتْ ... مَعارِفُها إن حُوشيتْ مُنكَراتُها
تُرِي الوكْرَ المغـمورَ كُحْلَ لحاظِها ... وكلَّ أخي الهـمِّ البعيـدَ قذاتُها
هوت برءوس الناسِ سُفْلًا وحلَّقتْ ... بأذنابها مجنـوبةً طائراتُها
فعتـلك منها أن ترى ببُغاثِها(٦) ... كواسبَ جوَّحْصٍ(٧) فيه بُزَّاتُها(٨)
ركبتُ من الأيامِ ظهـرَ ملوِّنٍ ... صبائغُـه(٩)، والخيـلُ شتَّى شِياتُها
وقلَّبتها يوما فيـوما مجـرَّبا ... فـلا سوءُها يبـقَى ولا حسناتُها
سأحملها حـتَّى تَخِفَّ وُسُـوقُها ... وأحلُمُ حـتى ترعوي جَهَـلاتُها
لعـلَّ مميتَ الحـظِّ يُحييه آنفًا ... فإنَّ الحظوظَ موتُها وحياتُها
فلا يؤيِسَنْكَ صـدُّها من وصالها ... ولا مَطْلُها من أن تَصحَّ عِداتُها
ألم ترَ مُلكَ "المكرَمِيِّين" نارُه ... خبت غَلَطا ثم اعتلتْ وقَـداتُها

(١) الحمى وما قابله أسماء مواضع . (٢) السيال : نباتٌ له شوك . (٣) الجناة : كل ما يجنى كالجنى . (٤) الحائل : العقيم ، والمعنّسة : التي طال مكثها ولم تتزوج . (٥) إرمية نسبة الى إرم . (٦) البغاث جمع بغاثة : شرار الطير . (٧) حصّ : قصّ . (٨) بزاة جمع باز . (٩) في الأصل "صبائعه" .

هفا الدهرُ فيهـــم مستغرًّا بغـــيره ... فخاضـوا وشاكَتْ رجلَه عثراتُها
بغى نقلَ ما أُعطُوا سفاهًا ولم تكن ... هضابُ "شَرَوْرَى"[1] زائلا راسياتُها
هم السحبُ ملء الأفقِ والدهرُ تحتها ... جُفاءٌ اذا سالتْ به سائلاتُها
علا السيلُ حتى "الصينُ" يُفعمُ بحرُها ... فيطغى وفى "بغداد" يجرى فُراتُها
حمى "ناصرُ الدين" العلا بعد من مضى ... فضُمَّتْ قواصـيها ولُمَّ شَتاتُها
وأضحى "بتاج الدولة" العزُّ مفرِقا ... لها، تتلظَّى فوقـه خَرَزاتُها
وإن فروجا سدَّها مثـلُ سعيه ... لضيِّقةٌ أن تُرتجَى خَطَفاتُها
رعاها أبو الأشـبالِ حتى دنا بها ... لها من شميمِ سَرحِها حسراتُها
أخو عزماتٍ لا يُراع صـديقُها ... — كما لم ينم — ولا تنام عُداتُها
كريمُ المحيَّا رطبـةٌ قَسَماتُهُ ... اذا ما الليوثُ آستجهمتْ عابساتُها
على الصدرِ منـه هيبةٌ تملأ الحشا ... ممـرَّرةٌ، أخـلاقـه مُحلياتُها
ومن رأيه فى الحربِ عَضبٌ وذابلٌ ... وما الحـرب إلا سيفُها وقناتُها
كريمٌ فما الأحسابُ إلا آقتناؤها ... لديه ولا الأموالُ إلا هِباتُها
اذا آعترضَتْهُ هزة الجـود ساكنا ... نزت بالنـدَى فى كفِّه نَزَواتُها
أفاد النـدَى فـلم تزل برياضـه ... رياحُ العـلا أو صَوَّحت شجراتُها
من القوم فضَّوا عُدرة الأرض سادةً ... وشابت وهـم أربابُها وولاتُها
فمن حلمهـم أركانُها وجبالُها ... ومن جودهـم أمواهُها ونباتُها
وليسوا كمن جُنَّ الزمانُ برفعـه ... وجاءت به من دولةٍ قَلَناتُها
ولا كذبا طارت به الريح طـيرةً ... فأقعصه أن طأطأتْ عاصفاتُها
تقيلتُـم والنفس يَكرُم أصلُها ... على عِرقها الساري فتكرُم ذاتُها

(١) شروري : اسم جبل .

بك اهتزّ فرعاها وأينع ظلّها ... وطاب جناها وانتهت بركاتها

جمعتَ هنا شذّان[1] كلّ فضيلة ... تعزّ على من رامها مفرداتها

فمن كان من قومٍ سفًّا[2] في أديمهم ... وزعنفةً[3] تُزرى فأنتَ سراتها[4]

لئن عركتْ في جنب طودك نبوةٌ ... من الدهر لا تُمحى بعذرٍ هناتها

وهزّ العدا من حسن صبرك صعدةً ... فقد علموا بالهزّ كيف ثباتها

وما كنتَ إلا الشمس، لثّتْ جهامةٌ ... على خدّها ثم انجلت غاشياتها

تنصّل منها الملكُ لمّا تبيّنتْ ... لعينيه أخراها ومعتقباتها

وأبصرها شنعاءَ يبقى حديثها ... ذميما ولا تبقى له عائداتها

فردّك ردّ السيف في الغمد لم تُعب ... مضاربُه إن ثُلّمتْ شفراتها

فكيف يليقُ الحسنُ أوجهُ دولةٍ ... اذا عدمتْ تيجانها خرزاتها

رعى الله نفسا لا الغنى زادها علًا ... ولا فقرُها حطّتْ له درجاتها

معظّمةً في حدّها وسنانها ... وسلطانها لا ما حوت ملكاتها

اذا قزعتْ[5] يوما من الدهر نكبةٌ ... اليها، عستْ[6] فلم تُسغها لهاتها

وأنت الذي تُعطى ـ وعامُك أشهبٌ ـ ... عطاءَ رجالٍ خُضّرتْ سنواتها

مع الجود أنّى مِلتَ غير مصرّفٍ ... يمينك إلا حيثُ شاءت عفاتها

أقلني أقلني جفوةً ما اعتمدتُها ... وهجرةَ أعوامٍ خلَتْ ما ابتدأتها[7]

وسعياً بطيئا عن مقامي من العلا ... لديك إذا الأقدام فازت سُعاتها

فما كان إلا الحظُّ منكم حُرمتُه ... ودنيا كثيرٌ بالغنى فلتاتها

تريد بنفسي كلّ ما لا تريده ... وتمنعها ما تقتضي شهواتها

(١) الشذّان : ما تفرّق . (٢) السفا : الشعر الخفيف على الأديم وفي الأصل "شغى" .
(٣) الزعنفة : طرف الاديم كاليدين والرجلين . (٤) السراة : الظهر . (٥) قزعت : أمرعت .
(٦) عست : اشتدّت وصلبت . (٧) يريد ما ابتدأتها .

وإنّى لكم ذاك الذى لا حبالُه ... تَرِثُّ ولا يُخشَى عليــه آنبتاتُها[1]
مقــيمٌ عــلى نعمائكم حافظٌ لها ... وعضبٌ[2] عــلى ما أوجبت حُرُماتُها
يُنقِّلُ قــوما قربُهــم وبعادُهــم ... ونفسىَ لا تهفــو بهــا مُبْــدِلاتُها
تحنّ الى أيّامكم فى ذراكُمُ ... وتحفزها من عهــدكم مُذكِراتُها
وعندى لكم ـ إن أسخطتكم سوالفى ـ ... عوائدُ ، تُرضى مجدَكم آنفاتُها
تســيرُ عــلى عاداتها بصــفاتكم ... طوالــعَ تمشى بالعــلا مُنقَــلاتُها
نوازلَ فى عرض الفــلا وصواعدًا ... تُرَدُّ عــلى رَوْحاتها غُــدُواتُها
تُخــالُ هواديها بنشــرِ علائكم ... بُرودَ "زُبَيــدٍ"[3] نُشِّرتْ جِبَراتُها
يَقُصُّ بهــا تحت الظلام سمــيرُها ... وتَرجُزُكم وجهَ النهارِ حُداتُها
تَطرَّبُهــا الأسمــاعُ فيكم كأنمــا ... عزيفُ الملاهى ما تقــولُ رواتُها
كأنّ الأولى دارتْ عليهم بيوتُها ... بنو نشوةٍ دارت عليهــم سُقاتُها
مبشِّــرة أيامَكم باتصــالها ... تُرِى الحسنَ قبلَ أن تُرَى أخرياتُها
خــوالد ما لبَّى المجيجُ وطــوَّفــوا ... وعجَّتْ بسـفحَىْ مَكّةٍ عَرفاتُها
وما عقــروها واجباتٍ جُنــوبُها ... تَفجَّــر من لَبَّاتها فاجراتُها
تزوركم الأعياد مجــلوّةً بها ... تحلّى بما صــاغت لكم عاطلاتُها
اذا لَعَنتْ قــوما لئاما فإنما ... عــلى ذكركم تسليمُها وصَــلاتُها

* * *

وقال يمدح الوزير زعيم الدين الحسن فى المهرجان

أهفــو لعُــلوىِّ الرياح اذا جرَتْ ... وأظنُّ "رامةَ" كلَّ دارٍ أقفرتْ
ويشــوقُنى روضُ الحمى متنفِّسا ... يَصِفُ الترائبَ والبروقَ اذا جرَتْ

(١) الأنبات : الأنقطاع . (٢) المضبّ : الحريص . (٣) زبيد : اسم موضع .

متعلّلاتٍ بعدَ طارقةِ النوى ... أو أبرأت داءَ الجوى أو علّلتْ

يا دينَ(١) قلبٍ من ليالى "حاجرٍ" ... مَكرتْ به فقضتْ عليه وانقضتْ

ومضاجعٍ "بالنَّعْفِ" بات يعدُّها ... غُنما وأصبح وِدُّه لو لم يبتْ

ومليحةٍ لو أنصفتْ عينُ المها ... فى الحسن ماثنَتِ الصليفَ(٢) ولا رنتْ

بيضاءَ من كَلَلِ الحدور وربّما ... ذُكرتِ بداوةُ قومِها فتسمّتْ

أخذتْ وأعطتْ من ضياء الشمس ما أحـ ... ـتكمت بخمّعتِ الجمالَ ووفّرتْ

وكأنما وَلِيَتْ خطائطَ وجهِها ... يدُها فجاءتْ فى الكمالِ كما اشتهتْ

ملكت على بأناتِ "جوٍّ"(٣) أمرَها ... فلها الإمارةُ ما استقامتْ وانثنتْ

فاذا أرادتْ بالقضيبِ مَساءةً ... وتنقّمتْ جُرما عليه تأوّدتْ

سنحتْ لنا دون الغدير فما سقى ... صفوُ الغديرِ وعذبُه مَنْ أعطشتْ

ورمتْ فلولا أنها ثُعليّةٌ(٤) ... قُلنا : رأت ثُعلا رمى فتعلّمتْ

غدرتْ فلولا أنّها نذرتْ دمى ... لم تعرفِ النذرَ الذى فيه وفتْ

وعلى "النقا" والعيسُ تحفرُ فى النقا ... أخفافُها من ثِقلِ ما قد حُمّلتْ

حلفتْ على قتلى فلمّا أن رأت ... بذمايَ باقيةَ الرماقِ تأوّلتْ

أبشر فانك فى الحياةِ مخلّدٌ ... يا من رأى يومَ "القليبِ" ولم يَمُتْ

وتشرّفتْ(٥) لتشبّ جمرةَ صدرِه ... بنتُ الأراكِ(٦)، وهل تُشَبُّ وما انطفتْ؟

وُرقاء ذكّرها الحداةُ هوًى لها ... طارت ألائفُها(٧) به فتذكّرتْ

هتفتْ على خضراءَ، كيف ترنّمتْ ... من فوقِها مالت بها فترنّحتْ

---

(١) الدين الداء، ومنه * يادينَ قلبكَ من سلمى وقد دينا * (٢) الصليف : عرض العنق .

(٣) جو : اسم لناحية اليمامة . (٤) ثعلية نسبة الى ثعل وهو أبو قبيلة مشهورة بالرمى .

(٥) ارتفعت فوق الشرف وهو الجبل . (٦) يريد بنت الأراك "الحمامة" . (٧) الالائف : الألاف .

لو كان ينجو من علاقاتِ الهـوى ... شيءٌ لضُـعْفٍ أو لمَرحمـةٍ نَجتْ
ولقـد طربتُ كما حزنتُ لصوتِهـا ... فشككتُ هل غنَّت بشجوٍ أو بكتْ
قف يا أخا الملهوف وقفةَ مُرسَـلٍ ... حمـل الأمانةَ هَضـبةً أو أُدَّيتْ
وٱجهَـر بصـوتك للتى لو خاطبتْ ... فى السرّ أوعالَ القِنـانِ لأسمعتْ
وقـل التحيـةَ والسـلامَ وحاجةً ... من بعدِ أن خابت وإن هى أنجحتْ (٧١)
يا أختَ "سـعدٍ" فيم بات معـذَّبا ... قلبى عليك كأنمـا عينِى جَنَتْ؟
رُدِّى الفـؤادَ علىَّ فهـو وديعـةٌ ... مضـمونةٌ مغرومةٌ إن ضُيِّعتْ
إن كان ظنُّكِ بالخيـانةِ والقِلَى ... أن يشمتَ اللاحى عليك فقد شَمِتْ
وعميّـةِ الأوضاحِ خرساءِ الصـدَى (١) ... عَشِيتْ على ضوءِ الصباحِ وأظلمتْ
مَرَدَتْ على عينِ الدليـلِ ورأيِه ... فتخالُه فيهـا أضـلَّ بما خَرَتْ (٢)
تتغـايرُ البَـوغاءُ (٣) تحتَ شَمِيمِـهِ ... فيهـا ويُنكِرُ صَـوتَهُ والمُلتفَتْ
مركوبةٍ، جَوْبُ المهـارى جـوَّها ... غَرَرُ المقامِرِ فيـه أخْسَتْ أوزَكتْ (٤)
واذا الركابُ ٱستيأستْ فى جَهلِها ... كيف النجاءُ توكَّلتْ وٱستسلمتْ
داوستُها أبغى العَـلاءَ بهمّةٍ ... لو شاورت أمَّ الشـقيق لَمَا سَمتْ
تقفى على الكرماء تنفضُ منهُـمُ ... طرقَ المَطالبِ أمهلتْ أو أحرَنتْ
ووراءها ـ لولا المطامعُ منهُـمُ ـ ... قُرَباءُ لو فنعتْ بهـم ما أبعـدتْ
نبِّهْ بنى "عبـدِ الرحيم" ولا تُبَـلْ ... معهم عيونَ الدهرِ كيف ٱستيقظتْ
وٱسـتفتهم فى المجـدِ تسألُ أنفسا ... لَقِنتْ على جهـلِ الورى وتفهَّمتْ
خَبُثَ الترابُ وما عليـه، وماؤها ... شرفٌ فطابت وحـدُّها وتطهَّـرتْ

---

(١) يريد بهذا الوصف "الصحراء" .
(٢) يقال : خرت الأرض أى عرفها ولم تخف عليه طرقها .
(٣) البوغاء : ما يثور من الغبار .
(٤) أخست أو زكت : لمبت بالفرد أو بالزوج .

فكأن زاكى عِرقِها لم يُسقَ من ... ماءِ الزمانِ وفى ثراه ما نبتْ
قومٌ اذا حذَرَ التناكرُ لُثَّمُهم[1] ... وجلا الصَّفاحُ أكفَّهم فتحسَّرتْ[2]
كفرتْ وجوهُهُم البدورَ وآمنتْ ... لأكفِّهم أيدى السحابِ فكفَّرتْ
شفعوا العلاء لليدَه بطريقه ... فتقدمت عليا وهم وتأخَّرتْ
ولدتهم الأرضُ التى قد أجمعتْ ... فى الأكثرين فأكيستْ[3] وتحيَّتْ
جاءت بهم وهى الوَلودُ كأنهم ... غُرباءُ جاءوا فى العقام أو انفلتْ
متواردين على العلاء كأنهم ... ضربوا له ميقاتَ يومٍ لم يفُتْ
راضوا الأمورَ، فتيُّهم كمسنِّهم ... سَوْمَ الكعوبِ تلاحقتْ فتنظَّمتْ
شَرَعوا الى ثُغَرِ الخطوب ذوابلا ... لولا صنيعةُ نفسها ما فُضِّلتْ
جُوفًا[4] ترى الصمَّ الصعابَ وراءها ... فى الحرب تقفُو ما حذَتْ أو مثَّلتْ
كتبوا على شهب الطروس لنا كما ... طَعنوا على الخيل الوِراد أو الكُمتْ[5]
والجالسُ القوالُ منهم آخذٌ ... منها بأنفاس الشجاع المنصلتْ
خذ من حديثهم حديثَ قديمهم ... وأعجب لأطراف العلا كيف التقتْ
وآسأل "زعيم الدين" عما خلفه ... من مجدهم فهو الشهادة والثَّبتْ[6]
قمرٌ هو المرآة عن أحسابهم ... مهما رأت مما يقابلها حكتْ
أدَّى فروضَهمُ وسَنَّ نوافلا ... فى المجد تمت الفروضَ وكمَّلتْ
فضحَ السوابقَ مالكٌ أشواطَه ... جارَى الرياحَ فخُلِّ عنه وقُيِّدتْ
وتقرطت أيامُه بيتيمةٍ ... منه صفَتْ للناظرين وأشرقتْ

---

(١) لثم جمع لثام . (٢) تحسرت : تعرّت . (٣) أكيست : ولدت أولادا أكياسا أى ظرفاء فطنين جمع "كيِّس" . (٤) جوفا جمع جوفاء . (٥) الكمت جمع كُمَيت وهو الفرس فى لونه كمتة أى حمرة مشوبة بسواد . (٦) الثَّبت : الحجة .

لم يدرِ جهـدُ الغائصين وكيـدُهم ... من أىّ أصداف البحار آستُخرِجتْ

قـد جوَّلوا فيهـا الظنونَ وأكثروا ... بالحوض لمـا آستُغرِبتْ وآستُعظِمتْ

قالوا : من البحر المحيط تصعَّدتْ ... لا ! بـل من الفلَكِ المحيط تـنزّلتْ

بيضاء ملء يد المـنى مأمـومة ... مَلَكَ المنَى وحوَى الغنى مَن أُعطِيتْ

يا جامعَ الحسناتِ بعـد شـذوذها ... مِزَقًا[1] وموجدَها أوانَ تعـذّرتْ

ومقطِّـر الأقران عن صَهَواتِ ما ... رُبطتْ من الرأى الأصيلِ وضُمِّرتْ

كم واثقٍ منهـم بعِصـمةِ رأيه ... وحسـابِهِ من هفـوةٍ أو من غَلَتْ

ضايقتَـه حـتى أقـرَّ بعجـزه ... لمـا وضعتَ له يديك على النُّكَتْ[2]

ومُنطَّقٍ ظنَّ البـلاغةَ آيـةً ... نُصِبتْ له علَمـا وشخصا صُوِّرتْ

قال الكثيرَ موسِّـعا لَهَـواتِهِ ... عُجْبـا فلمّـا قلتَ واحدةً سكتْ !

حَسِب الفصاحةَ فى التشادقِ وحدَه ... ما كلُّ ما وُصِف الأُسودُ به الهَرِتْ[3]

وأرى الوزارةَ مـذ حَملتَ لواءَها ... نُصِرت على فشـل الولاة وظُفِّرتْ

ساندت فيهـا ما عليك صـلاحُهُ ... وفسادُه إن أُصلِحتْ أو أُفسِدتْ

ثنَّى أخـوك أخاك فيهـا مُسهِما ... وبُعثتَ ثالثَهـا الذى بك عُزِّزتْ

أنـتم فوارسُها المَـذَاودُ دونهـا ... إن حوربت وملوكُها إن سـولمتْ

وظهـوركم لصـدورها مخلوقةٌ ... مظلومةٌ إن ضويقت أو زوحمتْ

نُصبتْ لكم وتمهّـدتْ فمـتى طـرا ... من غيركم طارٍ[4] نَبَتْ وآستوحشتْ

هى مِلكُكم فـتى آستُعيرت منكُمُ ... لتجمّلٍ وأردتمـوها آسـتُرجِعتْ

(١) مزق جمع مِزقة وهى القطعة من الثوب . (٢) النكت جمع نُكتة وهى المسئلة الدقيقة اخرجت بدقة نظر و إمعان فكر . (٣) الهرت : آتساع الشدقين . (٤) طارٍ : يريد " طارئ " .

أبناء نِسبتها وأبعلُ[1] عُذْرِها[2] ... واذا عَدَتكم أعزبت وتأيَّمتْ

تَفدى "أبا الحسنِ" التراب وطيئه ... قِمٌ هوت من تحتِ رِجلك إذ عات

ومحدِّثٍ بك فى الوساوس نفسَه، ... نفسٌ لعمرك ضَلَّةٌ ما سَوَّلتْ

لو ناقلوك به وألقِىَ "يذبُلٌ"[3] ... معه لكانت قِسمةً ما عُدِلتْ

أغنيتنى بك عن سواك فلم أبَلْ ... فُتِحت أنامِلُ معشرٍ أو أُقفِلتْ

وسُقيتُ أعذبَ شربتيك فما أرى ... بأسا ببارقةٍ همَتْ أو أخلبتْ

وصفوتَ لى بالودّ، والصهباءُ لم ... تُنْسِبِ العقولَ بطعمها حتى صفتْ

أنكرتُ ودَّ أخى وعهدَ أحبّتى ... وكريمُ عهدك طينةٌ ما أخلقتْ

فمتى طَلبتُ من الزمان سواك أو ... شَرْواك[4] فاشهدْ أنَّ ذاك من العَنَتْ

ولتُرضِينَّك ما سمعتَ نواهضٌ ... بالشكر لم تَخِفِ اللُّغوبَ ولا ونَتْ

يقضين ما أُسلفن من أيدى غِنًى ... وَسِعتْ حقوقَ المقرضين وأفضلتْ

يَغنَى بها العرضُ الفقيرُ وإن رأت ... عِرضا غنيًّا زيّدته وأثّلتْ

ريحانة ما استُنشِقت أرواحُها ... وسلافة تُصحى اذا ما أُسكرتْ

تقضى على الألباب أين خلاصها ... من شَوبها ما استُحظيت أو أُلغيتْ

ضجّتْ منابرُها بدعوتها لكم ... فلو ادّعت بكم النبوّةَ صُدِّقَتْ

إن صاحبتْ يوما اليكم عاطلا ... حلّتْه أو تَفَلُ[5] النواحى عطّرتْ

والمهرجان وكلّ يومٍ عادكم ... فى لطفه مما كستْ أو زخرفتْ

فتملّها وتملّه متلوّةً ... ومُقابلًا ما كرّ أو ما أُنشِدتْ

حتى ترى الأجداثَ تنفضُ أهلَها ... والشمسَ فى خضرائها قد كُوِّرتْ

---

(١) أبعل جمع بَعْل وهو الزوج. (٢) عُذْر جمع عَذراء وهى البكر. (٣) يذبل: اسم جبل.
(٤) الشروى: المثل. (٥) التَّفَل: المنتن الريح، وفى الأصل "تقل" وهو تحريف.